جيل الخلافة

المستوى التمهيدي

سيرة رسول الله ﷺ

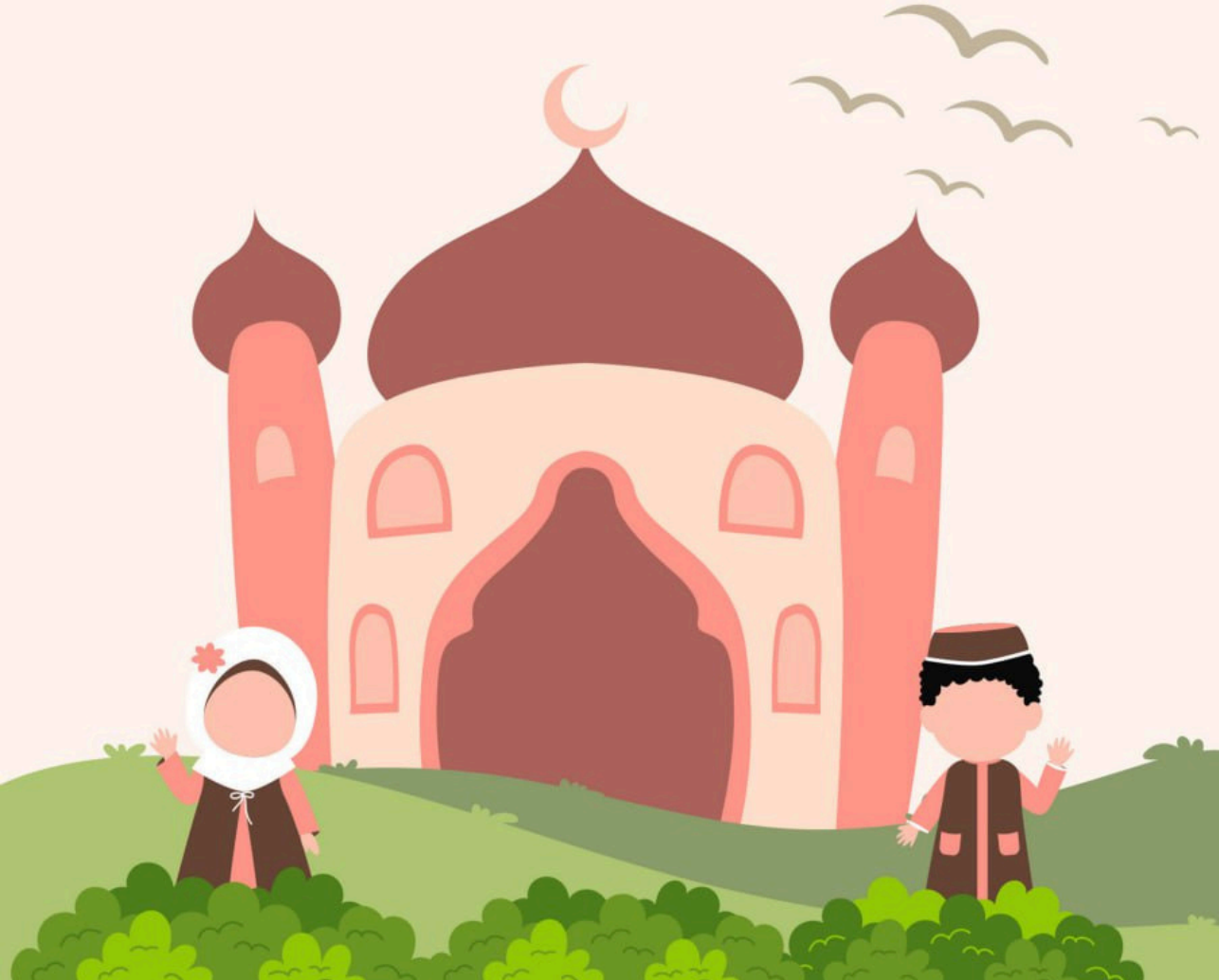

كانَ اللهُ تعالى يُرسلُ في كلِّ مرةٍ نبيًّا من أنبيائِهِ؛ لدعوةِ الناسِ لعبادةِ اللهِ وحدهُ لا شريكَ لهُ.

وللحذرِ من الشيطانِ الذي يريدُ لهم أن يكفروا باللهِ، ويظلموا بعضَهم بعضًا، ويُفسدوا في الأرضِ بدلَ عملِ الخيراتِ ومساعدةِ بعضِهم بعضًا.

وفي هذهِ المرةِ، أرسلَ اللهُ تعالى آخرَ أنبيائهِ، محمدًا صلى اللهُ عليهِ وسلم؛ ليكونَ آخرَ نبيٍّ يُعلِّمُ الناسَ كيفَ يعبدونَ اللهَ تعالى الذي خلقهم، ويمنعُ الظلمَ بينهم ويصلحُ حالَهم.

وبعدَ ذلكَ لن يكونَ هناكَ نبيٌّ جديدٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد أرسلَ محمدًا صلى اللهُ عليهِ وسَلَّم بالقرآنِ؛ وهو كلامُ اللهِ يُعلِّمُهم كلَّ شيءٍ يحتاجونَ إليهِ، فمنْ تمسَّك به نَجَا، ومَن عصى اللهَ نالَ العقابَ الذي يستحقه.

لنتعرّف الآنَ على قصةِ آخرِ نبيٍّ أرسلهُ اللهُ للناسِ في الأرض.

قبلَ مولدِ النبيِّ ﷺ

كانَ الناسُ يعبدونَ الأصنامَ، ويشركونَ باللهِ تعالى، ويعصونهُ ويحملونَ أخلاقًا سيئةً للغاية.

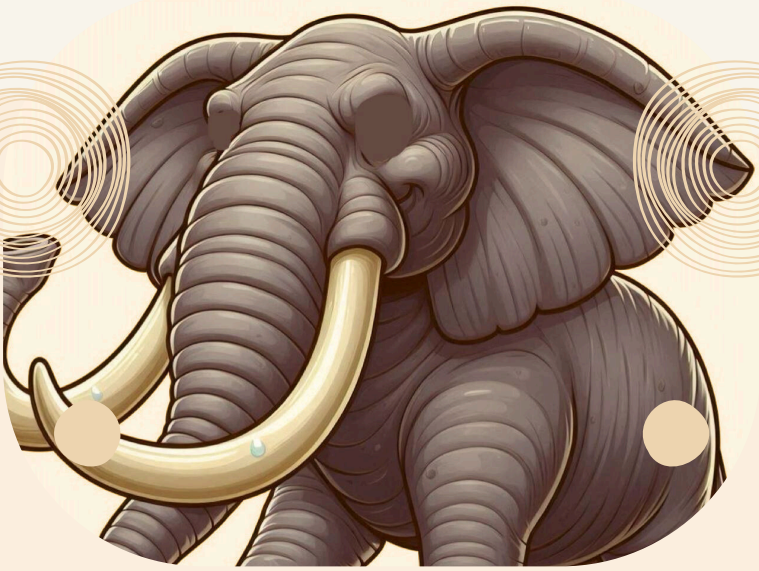

وُلِدَ النبيُّ ﷺ في هذهِ الأجواءِ، وكانَ ذلكَ في عامِ الفيلِ؛ وهوَ العامُ الذي ظهرَ فيهِ في اليمنِ رجلٌ شرّيرٌ وظالمٌ يُسمَّى (أبرهة)،

وكانَ قد بنى بناءً ضخمًا في بلادهِ؛ ليجذبَ الناسَ إليهِ، لكنهُ سمعَ أنَّ في مكةَ يوجدُ بناءٌ كبيرٌ آخرُ يُسمَّى الكعبةَ، يُحبُّهُ الناسُ، ويأتونَ لزيارتهِ من كلِّ مكانٍ، فقرَّرَ أبرهةُ أن يهدمَ الكعبةَ؛ كي يضطرَّ الناسُ لزيارةِ بنائِهِ الكبيرِ في اليمنِ بدلَ الذهابِ إلى مكة. وقادَ أبرهةُ الفيلَ الكبيرَ؛ لهدمِ الكعبةِ ومعهُ جيشٌ كبيرٌ.

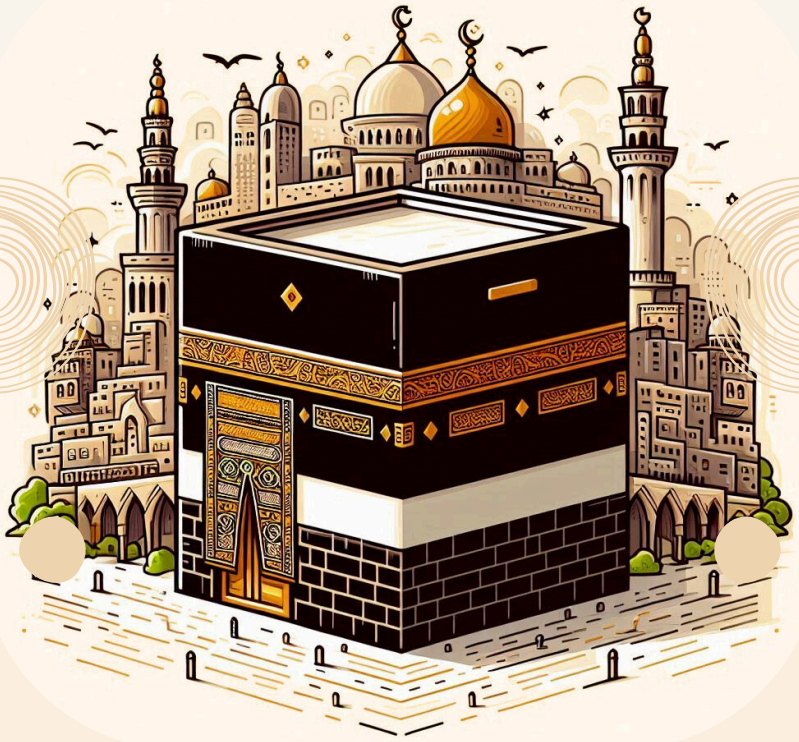

وحينَ اقتربَ جيشُ أبرهةَ من الكعبةِ رفضَ الفيلُ الكبيرُ الاقترابَ منها، وتعجّبَ أبرهةُ من ذلكَ، وحاولَ بكلِّ ما يمكنهُ أن يدفعهُ لهدمِ الكعبةِ، ولكنَّ الفيلَ الكبيرَ رفضَ التحرّك!

وغضبَ اللهُ تعالى من أبرهةَ لجرأتِهِ على الظلمِ؛ فأرسلَ اللهُ عزَّ وجلَّ طيورًا في فمها وأقدامها حجارةٌ من النارِ، فألقتها على جيشِ أبرهةَ فَقَتَلَتْهُم؛ عقابًا لهم على سعيهم لهدمِ الكعبة.

ولذلكَ سُمِّيَ هذا العامُ الذي تحركَ فيهِ جيشُ أبرهةَ إلى مكةَ بعامِ الفيلِ؛ وهوَ العامُ الذي وُلِدَ فيهِ نبيّنا محمدٌ ﷺ.

تَربّى يتيمًا

تربّى نبينا محمدٌ ﷺ يتيمًا، فقد توفي والدهُ وهو لا يزالُ في بطنِ أمه، فلم يرَ والدهُ أبدًا. واليتيمُ هو من ليسَ لديهِ أبٌ أو أمٌّ، أو كلاهما معًا.

وبعدَ ولادتهِ كانتْ أمهُ تبحثُ عمَّنْ يساعدُها في رضاعته، فوجدتِ المرضعةَ حليمةَ السعديةَ التي اتفقتْ معها على أنْ تأخذَهُ لترضعهُ إلى حيثُ تسكنُ في الصحراءِ بعيدًا عن أمه.

وذهبَ الرضيعُ محمدٌ ﷺ مع بقيةِ الأطفالِ الصغارِ مع مرضعتِهِ حليمةَ السعديةَ بعيدًا عن مدينتِهِم التي كانتْ كثيرةَ الأمراضِ، وهكذا أبعدتْهُ أمهُ عن خطرِ المرضِ ووفَّرتْ لهُ مكانًا آمنًا؛ ليكبرَ فيهِ شجاعًا قويًا.

وفاةُ أُمّهِ وكفالةُ جَدّه لـه

رجعَ محمدٌ بعدَ أنْ كَبرَ قليلًا إلى أمهِ ولكنّهُ ما لبثَ أنْ عاش معها فترةً من الزمنِ، حتى توفيتْ، وكانَ عمرهُ ستَّ سنينَ فقط. وأصبحَ يتيمَ الأمِّ والأبِ بعدَ أنْ كانَ يتيمَ الأبِ فقط.

فأخذَهُ جدُّهُ عبدُ المطلبِ عندهُ؛ ليربيهِ ويهتمَّ بهِ. ولكنهُ ماتَ أيضًا بعدَ فترةٍ قصيرةٍ وكانَ نبيّنا ﷺ لم يتجاوزْ من العمرِ ثماني سنواتٍ.

كفالةُ عمهِ أبو طالب لَه

انتقلَ نبينا محمدٌ ﷺ للعيشِ مع عمهِ بعدَ وفاةِ جدهِ، وكانَ عمهُ يُحبُّهُ كثيرًا، فاعتنى بهِ وكانَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم يعملُ في تلكَ الفترةِ في رعي الغنمِ.

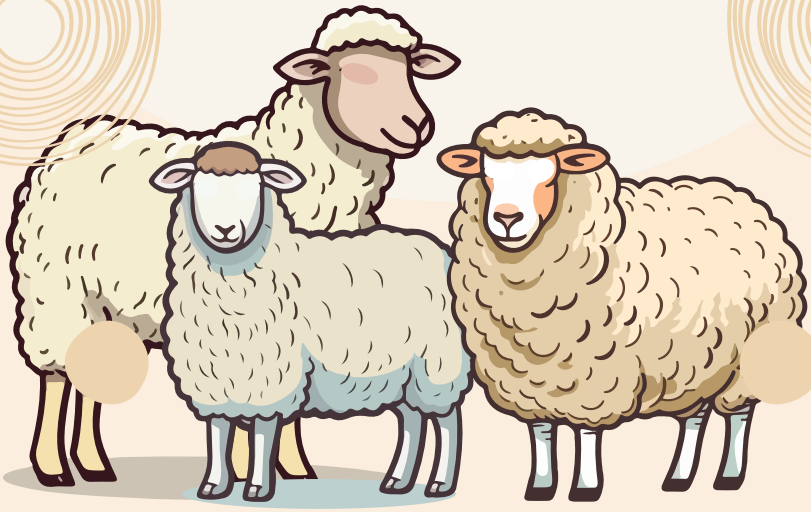

وكانَ لذلكَ أثرهُ في شخصيةِ النبيِّ ﷺ؛ فرعيُ الغنمِ يُعلِّمُ الإنسانَ الصبرَ والنشاطَ والذكاءَ والحكمةَ وشدةَ اليقظةِ والانتباهِ وحسنَ التأملِ والتدبُّر.

ولمَّا كبرَ النبيُّ ﷺ وأصبحَ شابًا، عملَ بالتجارةِ، وكانَ لحسنِ خلقهِ يَصِفهُ الناسُ بالصادقِ الأمينِ، فأَحَبَّهُ كلُّ مَنْ عرفهُ، وأصبحَ مَحلَّ ثِقَتِهِم.

ولذلكَ حينَ كانَ أهلُ مدينتهِ يختلفونَ في أمرٍ، يرجعونَ إليهِ ليحكمَ بينهم، ويقولونَ: "الأمينُ ارتضيناهُ".

زواجُ النبيِّ ﷺ

تزوجَ النبيُّ ﷺ من السيدةِ خديجةَ بنتِ خويلدٍ رضيَ اللهُ عنها، وكانَ لهُ منها من الأبناءِ ستةٌ وهم: القاسمُ، وعبدُ اللهِ، وزينبُ، وأمُّ كلثومٍ، ورقيةُ، وفاطمةُ.

وكانتْ أسرةً سعيدةً مُتحابّةً ومتعاونةً وجميلةً جدًا.

النبيُّ صلى الله عليه وسلم يرفضُ عبادةَ الأصنام

كانَ النـاسُ حولَ النبيِّ ﷺ يعبدونَ الأصنامَ، ولكنهُ رفضَ عبادتها، ولم يسجدْ لصنمٍ قط.

وكانَ يعتزلُ الناسَ ويقضي وقتَهُ في التَّفكرِ في خلقِ اللهِ تعالى. وفي كلِّ شهرِ رمضانَ كانَ النبيُّ ﷺ يختلي بنفسهِ في غارِ حراء، وهوَ غارٌ يقعُ في جبلٍ كبيرٍ في مدينتهِ، وكانَ يتأملُ في كلِّ ما حولَهُ في الحياة.

اليَوْمُ العَظِيمُ
يَوْمُ البَعْثَةِ

كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى غارِ حِراءَ، وَتَقُومُ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ بِإِعْدادِ الطَّعامِ لَهُ لِيَأْخُذَهُ مَعَهُ، وَفي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ زارَهُ سَيِّدُنا جِبْرِيلَ، وَهُوَ مَلَكٌ عظيمٌ مِنَ المَلائِكَةِ، وَقالَ لَهُ: "اقْرَأْ".

فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ: "ما أَنا بِقَارِئٍ!".

فَقَدْ كانَ النَّبِيُّ ﷺ أُمِّيًّا لا يَسْتَطِيعُ القِراءَةَ.

فَقالَ لَهُ جِبْرِيلُ مَرَّةً ثانِيَةً: "اقْرَأْ".

فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ: "ما أَنا بِقَارِئٍ!".

فَعَلَّمَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ ﷺ ، أَوَّلَ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَهِيَ سُورَةُ الْعَلَقِ فِي الْقُرْآنِ، حَيْثُ قَرَأَ عَلَيْهِ:

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ".

خَدِيجَةُ الزَّوْجَةُ الحَكِيمَة

تَفَاجَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا حَدَثَ لَهُ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَرَجَعَ مُسْرِعًا لِبَيْتِهِ، وَهُوَ يَرْتَجِفُ مِنْ شِدَّةِ مَا أَذْهَلَهُ الْحَدَثُ.

وَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي".

فَلَقِيَتْهُ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَسَارَعَتْ لَطْمَأْنَتِهِ، وَنَهْوِينِ الأَمْرِ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ لَهُ: "أَبْشِرْ، وَاللهِ لَنْ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتُصَدِّقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ".

وَاقْتَرَحَتْ خَدِيجَةُ أَنْ يَذْهَبَا مَعًا إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَهُوَ أَحَدُ أَقَارِبِهَا، وَكَانَ لَدَيْهِ عِلْمٌ بِالنَّبِيِّ السَّابِقِ، عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَأْتِي بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ جَدِيدٌ، وَهُوَ الأَخِيرُ، فَأَخْبَرَهُمَا أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ النَّبِيُّ المُنْتَظَرُ وَالذي أخبَرهم بخبر قدومِهِ عِيسى عَليهِ السَّلَامُ مُنذ زَمَنٍ بَعيد.

مرحلة البِعْثَة

وَهُنا بَدَأَت مَرحَلَة جَديدَة في حَياة النَّبِي ﷺ

بَعـدَمـا تَعَـرَّفَ على المَلَـك جِبريـل

عليـه السـلام.

لَقَدْ أَدْرَكَ النَّبِي مُحَمَّدُ بنِ عَبْدَالله بن عَبْـد المُطَّلِب ﷺ أَنَّهُ رَسُولٌ مِن رَبّ العَالَمِينَ إلى النَّاس أَجْمَعِيـنَ، وكَـانَ يَبْلُـغُ آنَذَاكَ مِـن العُمُـر أَرْبَعِيـنَ سَنَـة.

فَبَدَأَ كَمَا فَعَلَ الأَنْبِيَاء مِن قَبْلِهِ، بِدَعْـوَةِ أَقْرَبِ النَّاس إِلَيْهِ إِلَى عِبَـادَةِ الله وَحْـدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَكَانَ أَوَّل مَـنْ آمَنَ بِهِ، زَوْجَتُهُ خَدِيجَة رَضِيَ الله عَنْهَا.

ثُمَّ آمَنَ بِهِ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَانَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَوَّل مَنْ آمَنَ مِنَ الرِّجَال.

وَآمَنَ بِهِ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ لَا يَزَالُ صَغِيرًا فِي السِّنّ، فَكَانَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَوَّل مَنْ آمَنَ مِنَ الفِتْيَان.

كَمَا آمَنَ بِهِ مَوْلَاهُ زَيْدُ بن حَارِثَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، وَالعَدِيدُ مِنْ أَصْحَاب النَّبِي ﷺ مِنْهُمْ عُثْمَانُ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ،

وَأَبُو عُبَيْدَة، وَعُثْمَان بن مَظْعُون، وَعَبْد الرَّحْمَن بن عَوْف، وَأَبُو سَلَمَة، وَالأَرْقَم بن أَبِي الأَرْقَم.

وَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَعْوَةِ قُرَيْشٍ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى؛ فَاسْتَجَابَ لِرِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضُ النَّاسِ بَيْنَمَا رَفَضَهَا آخَرُونَ. وَغَضِبَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مِنْ ذَلِكَ وَأَصَرُّوا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَبَدَأُوا بِالِاعْتِدَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَتَحَمَّلَ الْمُسْلِمُونَ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَذَى عَلَى يَدِ الْمُشْرِكِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلًا. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ. وَكَانَ يَحْكُمُهَا مَلِكٌ قَوِيٌّ عَادِلٌ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ.

وَبِالْفِعْلِ هَاجَرَ جَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَخَرَجُوا سِرًّا مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَتْ رِحْلَةً مَلِيئَةً بِالْخَطَرِ حَتَّى وَصَلُوا بِسَلَامٍ، وَسَمَحَ لَهُمْ مَلِكُهَا بِالعَيْشِ فِي أَرْضِهِ بِأَمَانٍ.

وَبَقِيَ النَّبِيّ ﷺ فِي مكَّة كي يَسْتَمِرَّ في مِهْمَتِهِ: دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الإِسْلام، وَبَقِيَ مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ.

وَلَكِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمْ يَرْضَوْا بِذَلِكَ، وَأَكْثَرُوا مِنْ ظُلْمِهِمْ وَعُدْوَانِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ كَانَ قَدْ اسْتَجَابَ لِلنَّبِيّ ﷺ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَارِجِ مَكَّة، وَخَاصَّة مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا يَأْتُونَ لِلنَّبِيّ ﷺ؛ لِبَيْعَتِهِ، وَتَأْكِيد أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ نَصْرَتَهُ وَنَصْرَةَ دِينِ اللَّهِ الإِسْلام.

هِجْرَةُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ الَّتِي كَانَ أَغْلَبُ سُكَّانِهَا مُسْلِمُونَ وَيَنْتَظِرُونَ بِشَوْقٍ شَدِيدٍ مَجِيءَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْعَيْشِ مَعَهُمْ.

هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهَاجَرَ بَعْدَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ صَدِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَرَقَّبَ وُصُولَهُمَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ بِفَرْحٍ شَدِيدٍ، وَحِينَ وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ

لِلْمَدِينَةِ ابْتَهَجَ الْمُسْلِمُونَ كَثِيرًا وَهَتَفُوا مُرَحِّبِينَ بِهِ وَسَارَعُوا لِخِدْمَتِهِ وَإِكْرَامِهِ. وَفَتَحَ الصَّحَابِيُّ الْأَنْصَارِيُّ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ بَيْتَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَرَحَّبَ بِهِ بِسُرُورٍ كَبِيرٍ.

وَبَدَأَتْ مَرْحَلَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّهَا مَرْحَلَةُ إِقَامَةِ دَوْلَةٍ لَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ، مُسْتَقِلَّةً عَنْ بَطْشِ وَطُغْيَانِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ، وَأَصْبَحَ مُمْكِنًا لَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ بِرَاحَتِهِمْ بِدُونِ خَشْيَةِ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِلْأَذَى.

المُسَلِمُونَ فِي المَدِينَة

تَرَكَ المُسلِمُون الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّة إلى المَدِينة كُلَّ شَيءٍ خَلفَهُم مِن بُيوتٍ وأمْوَالٍ وَغيرِها؛ لِينجُوا مِن ظُلم الكُفّار وطُغيانِهِم، ويَعِيشُوا أَعِزَّةً بِدِينِهِم وأحرارًا تحتَ قِيادةِ نَبِيِّهِم.

وَحِينَ وَصَلُوا إلى المَدينة، وَجَدُوا أَهْلَها أنصارًا لهُم، ففَتَحُوا لهُم بُيوتَهُم، وتَقاسَموا معهُم كُلَّ ما لَديهِم. وآخَى

النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُم، فجَعَل لكُل مُهاجِرٍ أخًا لَهُ مِن الأنْصَارِ، يَنْصُرُهُ ويُسانِدُه.

فَكَانَ كُلُّ أنصارِيٍّ يُساعِدُ أَخِاهِ المُهَاجِرُ بكُلِّ مَا يُمكِنُهُ.

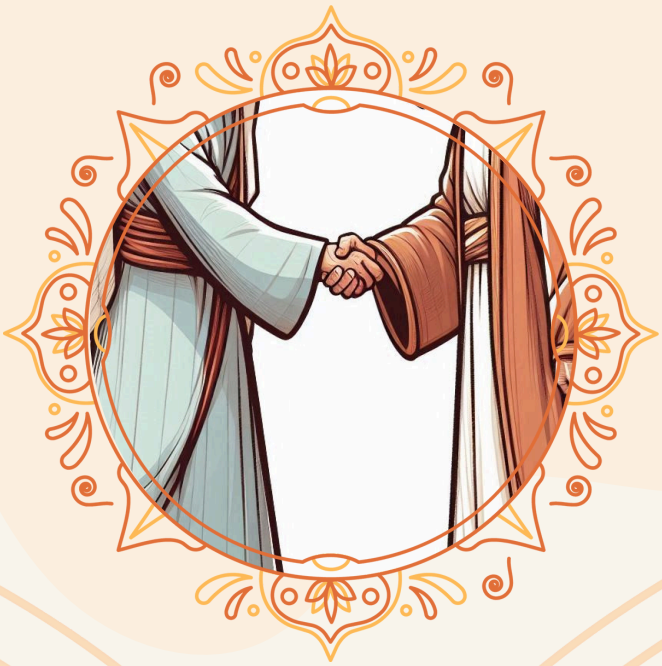

بِنَاءُ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

بَنَى النَّبِيُّ ﷺ المَسْجِدَ النَّبَوِيَّ، وَفَرِحَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ كَثِيرًا، الأَنْصَارُ وَالمُهَاجِرُونَ، فَأَخِيرًا أَصْبَحَ لَدَيْهِمْ مَسْجِدًا كَبِيرًا يُصَلُّونَ فِيهِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ؛ لِيَتَعَلَّمُوا الإِسْلَامَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قُرَيْشٌ تُرِيدُ الحَرْبَ

وَسَمِعَ الكُفَّارُ فِي مَكَّةَ بِخَبَرِ المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ، وَغَضِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَرَّرُوا أَنْ تَكُونَ الحَرْبُ ضِدَّ المُسْلِمِينَ؛ حَتَّى يَرْجِعُوا لِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَيُشْرِكُوا بِاللهِ تَعَالَى.

مَعَارِكُ بَيْنَ الكُفَّارِ وَالمُسْلِمِينَ

وَحَدَثَتْ عِدَّةُ مَعَارِكَ بَيْنَ الكُفَّارِ وَالمُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ الكُفَّارُ يَمْلِكُونَ دَائِمًا جَيْشًا كَبِيرًا بَيْنَمَا جَيْشُ

الْمُسْلِمِينَ يَكُونُ قليلًا فِي عَدَدِهِ وَإِمْكَانِيَّاتِهِ، وَلَكِنَّهُ قَوِيٌّ فِي إِيمَانِهِ وَتَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى.

وَنَصَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةً يُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ، فَتَمَكَّنُوا مِنْ أَنْ يَقْتُلُوا أَشْرَسَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ، وَيَغْنَمُوا كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَسْلِحَةٍ وَأَمْوَالٍ، وَبَدَأَ الكُفَّارُ يَضْعُفُونَ، وَالمُسْلِمُونَ يَسْتَقْوُونَ.

وَمِنْ أَشْهَرِ المَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا المُسْلِمُونَ: غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى؛ وَهِيَ أَوَّلُ مَعَارِكِ المُسْلِمِينَ وَأَهَمُّهَا، وَانْتَصَرَ فِيهَا المُسْلِمُونَ مَعَ أَنَّ عَدَدَهُمْ كَانَ قَلِيلًا بِنَحْوِ ثَلَاثِمِائَةِ مُسْلِمٍ مُقَارِنَةً مَعَ جَيْشِ الكُفَّارِ الَّذِي بَلَغَ أَلْفَ كَافِرٍ.

وَفَرِحَ المُسْلِمُونَ كَثِيرًا بِهَذَا النَّصْرِ.

وَمِنْ هَذِهِ المَعَارِكِ، غَزْوَةُ الخَنْدَقِ، وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ لأَنَّ الصَّحَابِيَّ سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، اقْتَرَحَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحْفِرُوا خَنْدَقًا عَظِيمًا حَوْلَ المَدِينَةِ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ المُشْرِكُونَ دُخُولَهَا، وَوَافَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأْيِهِ وَبَدَأُوا بِحَفْرِ الخَنْدَقِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْفِرُ مَعَهُمْ، وَكَانُوا يُعَانُونَ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ وَالجُوعِ حَتَّى أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْبِطُونَ الحِجَارَةَ عَلَى

بُطُونِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ، وَلَكِنَّهُمْ صَبَرُوا وَثَبَتُوا كَيْ لَا يَغْلِبَهُمُ الكَافِرُ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ عَمَلِهِمُ الشَّاقِّ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ وَحِرَاسَةِ المَدِينَةِ؛ لِأَنَّ حِفْظَ دِينِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ كَانَ أَغْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِي الخَنْدَقِ كَمَا انْتَصَرُوا فِي بَدْرٍ.

وَبِفَضْلِ هَذِهِ المَعَارِكِ الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا المُسْلِمُونَ وَأَبْعَدَتِ الكُفَّارَ عَنْهُمْ، عَاشَتِ المَدِينَةُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَآمِنَةً، وَتَمَكَّنَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مُوَاصَلَةِ تَعْلِيمِ المُسْلِمِينَ دِينَهُمْ وَالقِيَامِ عَلَى شَأْنِ دَوْلَتِهِ، وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ لِدَعْوَةِ النَّاسِ لِلْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

لَقَدْ عَاشَ المُسْلِمُونَ فِي المَدِينَةِ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيَاةً سَعِيدَةً طَيِّبَةً، لَا ظُلْمَ

فِيهَا وَلَا عُدْوَانَ. يَتَعَلَّمُونَ دِينَهُمْ
وَيَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ وَيُدَافِعُونَ عَنْ
أَنْفُسِهِمْ. وَيَحْذَرُونَ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ.

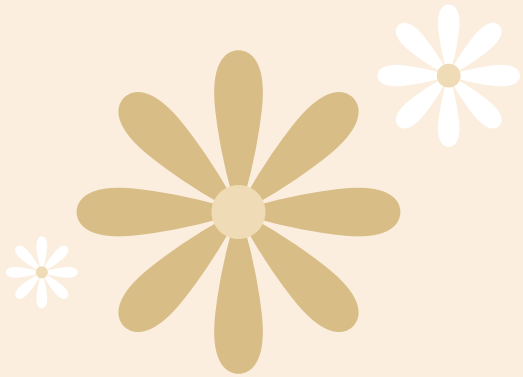

النَّبِيُّ أَعْظَمُ قَائِدٍ

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، أَعْظَمَ قَائِدٍ وَقُدْوَةٍ، فَقَدْ كَانَ قَوِيًّا شُجَاعًا وَمُجَاهِدًا، وَكَانَ رَحِيمًا حَلِيمًا وَكَرِيمًا، وَقَدْ مَدَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ عَنْهُ -ﷺ- {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم 4]

وَكَانَ زَوْجًا وَأَبًا رَحِيمًا مُحْسِنًا

وَقَدْ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجَتِهِ الأُولَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ، عَشْرَ زَوْجَاتٍ؛ لِأَنَّهُ النَّبِيُّ، وَهُنَّ:

السَّيِّدَةُ سَـوْدَةُ بِنْـتُ زَمْعَـةَ،

السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

السَّيِّدَةُ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

السَّيِّدَةُ زَيْنَـبُ بِنْـتُ خُزَيْمَـةَ،

السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَـةَ،

السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْـشٍ،

السَّيِّدَةُ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَـارِثِ،

السَّيِّدَةُ صَفِيَّةُ بِنْـتُ حُيَـيٍّ،

السَّيِّدَةُ أُمُّ حَبِيبَـةَ،

السَّيِّدَةُ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَـارِثِ.

رَضِيَ اللهُ عَنْ أُمَّهَاتِنَا،
أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ.

ورَزَقَهُ اللهُ بِوَلَدٍ جَدِيدٍ سَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ مِنَ السَّيِّدَةِ مَارِيَةَ القِبْطِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، لَكِنَّهُ تُوُفِّيَ صَغِيرًا.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الصِّغَارَ وَيُلَاعِبُهُمْ وَيُمَازِحُهُمْ، وَكَانَ الصِّغَارُ يُحِبُّونَهُ حُبًّا شَدِيدًا.

وَكَانَتْ هَذِهِ صِفَاتُهُ مَعَ كُلِّ المُسْلِمِينَ، فَقَدْ كَانَ المُسْلِمُونَ جَمِيعًا يُحِبُّونَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَكْثَرَ مِنْ أَهْلِهِمْ

وَأَمْوَالِهِمْ وَمِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا؛ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا كَمْ صَبَرَ وَتَحَمَّلَ لِأَجْلِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَكَيْفَ تَحَوَّلُوا بفضل الله تعالى ثم بِفَضْلِهِ ﷺ مِنْ حَيَاةٍ تَعِيسَةٍ إِلَى حَيَاةٍ سَعِيدَةٍ، وَمِنَ الضَّعْفِ إِلَى القُوَّةِ، وَمِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ.

لَقَدْ تَحَوَّلُوا مِنْ قَبَائِلَ مُتَنَاحِرَةٍ وَأَفْرَادٍ مُتَحَارِبَةٍ إِلَى دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ كَبِيرَةٍ يَحْسِبُ لَهَا الكُفَّارُ أَلْفَ حِسَابٍ.

فَتْحُ مَكَّةَ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ وَضْعُ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْمَدِينَةِ، أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَابَتُهُ أَنْ يَذْهَبُوا لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ، فَقَدِ اشْتَاقُوا لِلطَّوَافِ حَوْلَ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَكَانَ آنَذَاكَ تَحْتَ حُكْمِ الْكُفَّارِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَجَهَّزُوا وَخَرَجُوا قَاصِدِينَ مَكَّةَ؛ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ.

وَلَكِنَّ الْمُشْرِكِينَ مَنَعُوهُمْ، ثُمَّ اتَّفَقُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَرْجِعَ الْمُسْلِمُونَ الْعَامَ التَّالِي

لِأَدَاءِ الْعُمْـــرَةِ بِنَـــــاءً عَلَى شُـــــرُوطٍ عَقَدُوهَـــا بَيْنَهُـــمْ.

وَخَـــانَ الْمُشْرِكُـــونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَعَـزَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّـــةَ وَتَطْهِيرِهَا مِنَ الشِّرْكِ وَالْأَصْنَامِ، وَلِيُـؤَدِّبَ الْكُفَّـارَ الَّذِينَ خَانُـوهُ.

وَخَـرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِـنَ الْمَدِينَـةِ مُتَّجِهًـا إِلَى مَكَّـــةَ، ثُمَّ دَخَـلَ مَكَّةَ فَاتِحًا لَهَا، وَمَعَـهُ جَيْشٌ ضَخْـمٌ مِـنَ الْمُسْلِمِيـنَ، مِنَ الْأَنْصَارِ

وَالْمُهَاجِرِينَ، فَهَرَبَ الْكُفَّارُ الَّذِينَ خَافُوا كَثِيرًا مِنْ هَيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَدَخَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا.

وَحَطَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَصْنَامَ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ: "قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا". وَخَشِيَ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَادُونَ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ أَنْ يُعَاقِبَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ انْتَصَرَ عَلَيْهِمْ.

وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَامَحَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ:
"اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطَّلَقَاءُ".
فَفَرِحُوا بِذَلِكَ، وَتَمَسَّكُوا بِالْإِسْلَامِ،
وَعَرَفُوا عَظَمَتَهُ.

وَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْمُسْلِمِينَ أَكْبَرَ بَعْدَ فَتْحِ
مَكَّةَ، وَسَمِعَ الْعَالَمُ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ
وَأَصْحَابِهِ وَدَوْلَتِهِ الْعَظِيمَةِ.

وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

وَبَعْدَ هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، وَانْتِشَارِ دِينِ اللهِ وَنُورِهِ بَيْنَ النَّاسِ، حَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمُسْلِمِينَ.

كَانَتْ هَذِهِ الْحَجَّةُ أَوَّلَ وَآخِرَ حَجَّةٍ لِلرَّسُولِ ﷺ وَهِيَ (حَجَّةُ الْوَدَاعِ).

فَقَدْ آنَ لِلرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَرْحَلَ بَعْدَهَا لِجَوَارِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، بَعْدَ أَنْ أَدَّى الرِّسَالَةَ الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِهَا وَأَرْسَلَهَا لَهُ عَنْ طَرِيقِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَبَعْدَ أَنْ عَلَّمَ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَلِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ تَنْتَهِي حَيَاتُهُ بِالْمَوْتِ، تُوفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ يَوْمُ وَفَاتِهِ ﷺ لَيْسَ كَأَيِّ يَوْمٍ، كَانَ يَوْمًا حَزِينًا جِدًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ،

وَكَانَ أَشَدَّ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ بِنْسَوْنَ نَبِيَّ اللَّهِ، الَّذِي هَدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ وَجَمَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً.

وَفِي يَوْمِ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، اشْتَدَّ الْمَرَضُ عَلَيْهِ، فَنَظَرَ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يُصَلُّونَ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ فَرْحًا بِهِمْ وَبِلِزْوَمِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَهُوَ يَرَى ثِمَارَ دَعْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ أَمَامَهُ فِي صُفُوفٍ

الْمُسْلِمِينَ الْمُتَرَاصَةِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، تُصَلِّي لِرَبٍّ وَاحِدٍ أَحَدٍ، ثُمَّ دَخَلَ حِجْرَتَهُ وَاسْتَمَدَّ لِلْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

تُوفِيَ ﷺ فِي بَيْتِ زَوْجَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَكَانَ يَقُولُ فِي لَحَظَاتِ وَفَاتِهِ الْأَخِيرَةِ: "مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ

الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى" وَكَرَّرَ الْكَلِمَةَ الْأَخِيرَةَ ثَلَاثًا وَمَالَتْ يَدُهُ، وَلَحِقَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى. فَقَدْ كَانَ يُخَيِّرُهُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ يُرِيدُ أَنْ يَبْقَى فِي الدُّنْيَا، أَوْ يَلْتَحِقُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَام، فَاخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ الْالِتِحَاقَ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الصَّحَابَةُ يَحْمِلُونَ الرِّسَالَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ

وَبَكَى الصَّحَابَةُ عَلَى فِرَاقِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، قَائِدِهِمْ الْأَعْظَمِ وَمُرَبِّيهِمْ، وَكَانُوا فِي صَدَمَةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِمْ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَخَطَبَ فِيهِمْ خُطْبَةً مُزْلِزِلَةً، وَقَالَ: "مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ". وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ عَظِيمَةً فِي الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

[آل عمران: 144- 148].

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ

وَلَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

وَاِسْتَجَمَعَ الْمُسْلِمُونَ صُفُوفَهُم وَقَامُوا بِقُوَّةٍ يُرَدِّدُونَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَوَصَايَا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَكَانُوا أَبْطَالًا عُظَمَاء.

وَنَحْنُ عَلَى خُطَاهُمُ الْيَوْمَ نَحْمِلُ الْإِسْلَامَ حَتَّى نَلْتَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ.

جيل الخلافة
سيرة النبي ﷺ
لِلْمُسْتَوَى التَّمْهِيدِي